

الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي لألفاظ القرآن الكريم

أدريني يوليزار، الماجستير

كلية أصول الدين من جامعة أنتاساري الإسلامية الحكومية

Diterima tanggal 05 Juli 2017 / Disetujui tanggal 20 Juli 2017

ملخص

وكان من العلماء من يحرص أسماء كثيرة للقرآن، وبعضهم من يرى أن الأسماء منحصرة بما اشتهرت بين العلماء والباقية منها هي صفات للقرآن. والقرآن الكريم معجز في كل شيء، معجز قديماً ومعجز حديثاً، ومعجز لاحقاً، ومعجز إلى قيام الساعة. وهناك بعض شواهد إعجاز القرآن في ألفاظه وفي معانيه وما يحتويه من علوم وحقائق لا تحصى ويعترفها العلماء في مختلف مجالات العلوم الإنسانية.

المقدمة : معنى القرآن ومعنى الإعجاز

1- معنى القرآن

القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ثم نقل من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي الدال على الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ - القيامة: 17-18).

وقال آخرون: القرآن اسم غير مشتق من شيء وهو اسم خاص بكلام الله مثل التوراة والإنجيل، وهو اسم غير مهموز، ولم يؤخذ من قرأت، ولو أُخذ من قرأت لكان كل ما أخذ قرآناً، وروى هذا الرأي عن الشافعي، وقال البيهقي: كان الشافعي يهزم "قرأت" ولا يهزم القرآن. ويقول: هو اسم لكتاب الله غير مهموز، قال الواحدي: قول الشافعي أنه اسم لكتاب الله، يعني أنه اسم غير مشتق.

وقال آخرون: أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممت إليه فسُمي بذلك القرآن السور والآيات والحروف فيه، ومنه قيل للجمع بين الحج والعمرة قران، قال: وإلى هذا المعنى ذهب الأشعري.

وقال القرطبي: القرآن بغير همز مأخوذ من القرائن لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضاً ويشابه بعضها بعضاً، فهي حينئذ قرائن. قال الزجاج: هذا القول سهو، والصحيح: أن ترك الهمز فيه من باب التخفيف ونقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، وهذا ما أشار إليه الفارسي في الحلييات.

وتوسّع علماء التفسير في توضيح الأسماء التي سُمِّي بها القرآن الكريم. قال الفارسي في معنى قوله تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه)، أي جمعه في قلبك حفظاً، وعلى لسانك تلاوة، وفي سمعك فهما وعلمًا.

وأما الكلام فمشتق من التأثير، يقال: كلّمه إذا أثر فيه بالجرح، فسمي الكلام كلاماً، لأنه يؤثر في ذهن السامع فائدة لم تكن عنده. وللقرآن أسماء كثيرة سُمِّي بها وهذه المسمّيات تكشف عن الوظائف والآثار الحسنة لهذا الكتاب الكريم.

أما "النور" فلأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام، وأما تسميته "هدى" فلأنه فيه دلالة بينة إلى الحق، وتفريقاً بينه وبين الباطل، وأما تسميته "ذكراً" فلما فيه من المواعظ والتحذير وأخبار الأمم الماضية، وهو مصدر ذكرت ذكرت ذكراً.

وأما تسميته "نبينا" فلأنه بُيّن فيه أنواع الحق، وكشف أدلته، وأما تسميته "إبلاغاً" فلأنه لم يصل إليهم حال أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وإبلاغه إليهم إلا به، وأما تسميته "مبيناً" فلأنه أبان وفرّق بين الحق والباطل، وأما تسميته "بشيراً ونذيراً" فلأنه بشر بالجنة وأنذر من النار.¹

هناك بعض الأسماء الأخرى للقرآن الكريم ونكتفي بما قد ذكرناها سابقاً، فمن العلماء من يحدّد أسماء كثيرة للقرآن، وبعضهم من يرى أن الأسماء منحصرة بما اشتهرت بين العلماء والباقية منها هي صفات للقرآن. فالصفات تدل على مكانة القرآن الكريم ووظائفه.

2- معنى الإعجاز

الإعجاز مصدر من كلمة أُعْجِرَ - يُعْجِرُ - إعجازاً - فهو مُعْجِرٌ لصيغة الفاعل. أما المعجزة هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة وهي إما حسية إما عقلية.²

إن القرآن الكريم معجز في كل شيء، معجز قديماً ومعجز حديثاً، ومعجز لاحقاً، ومعجز إلى قيام الساعة. ولا ندري ما سيكون من أمره بعد قيام الساعة. إن القرآن الكريم معجز في حروفه وكلماته وتراكيبه وآياته وسوره وحركاته. معجز في نظمه نصّاً متكاملًا، ومعجز في كل جزء من أجزائه، وفي كل دلالة من دلالاته (عودة خليل أبو عودة، 1995م : 29).

القرآن الكريم هو كلام الله رب العالمين، نزل به الروح الأمين على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس أجمعين. وهو دستور الإسلام الخالد، كما قال تعالى: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - فصلت: 42) لا يأتيه الباطل من بين يديه

¹ عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث (حلب: دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م)، 17-

² جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتيان في علوم القرآن (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1996م)، 311.

يعني لا يستطيع أن يزيد عليه، ولا من خلفه يعني لا يستطيع أحد أن ينقص منه ولو حرفاً. وهذا لأن الله تكفل بحفظه بخلاف الكتب المنزلة قبل القرآن، كالتوراة والإنجيل، فإنه قد دخلها التحريف. لأن الله ما شاء أن تكون جميع الكتب السماوية دائمة، وإنما هي شرائع مرهونة بوقتها انتهت في زمانها. ولهذا جاء القرآن ناسخاً لها مهيمناً عليها. وأن من صفات القرآن أن الله تعالى حماه كما تكفل بحفظه.

والقرآن الكريم مفجر العلوم ومنبعها، ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه الله تعالى علم كل شيء، وأبان فيه هدياً وغيّاً، فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام. والنحوي يبني منه قواعد إعرابه ويرجع إليه في معرفة خطأ القول من صوابه. والبياني يهتدي به إلى حين النظام، ويعتبر مسالك البلاغة في صوغ الكلام. وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولي الأبصار ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها.

أن القرآن الكريم هو الشفاء من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة. فما من مرض من أمراض القلوب والأبدان إلا وفي القرآن شفاء للقلوب والنفوس والأبدان جميعاً. وفيه الهداية والتوجيه، والإرشاد والحكمة، والموعظة الحسنة، والصالح والإصلاح للنفس الإنسانية، قال تعالى: (ونزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً - الإسراء: 82).

وقد أجمع المسلمون على أنه المصدر الأول في التشريع الإسلامي، والمرجع الأساسي في استقاء الفكر والعقيدة والنظم والمفاهيم الإسلامية. والقرآن الكريم المصدر الأول للتشريع، والأوامر الإلهية، والقواعد الإسلامية، والمبادئ الأخلاقية، وهو المعجزة الخالدة إلى يوم الدين. *ولذلك* حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على سلامة هذا القرآن وتبليغه كما أنزل حرفاً بحرف وكلمة بكلمة لأنه برهان نبوي، ومعجزة الإسلام الخالدة.³

القرآن معجزة باقية إلى قيام الساعة

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم لاني بعدة، هذه ألف وأربعمائة عام قد مرت ما جاء رسول، والرسول كانوا يتتابعون ويتعاقبون، وأطول مدة جاءت بين رسول ورسول هي تلك الفترة بين سيدنا عيسى عليه السلام وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهي حوالي خمسمائة عام، وها هنا نحن اليوم أمام ألف وأربعمائة عام ولا رسول! قال لك اليهودي والنصراني: لا ليس لك من المعجزة إلا الرواية، ولكنك لو سألت مسلماً: هل تستطيع أن تُرَبِّي معجزة محمد صلى الله عليه وسلم؟! قال لك: نعم إن المعجزة موجودة، وإن

³ أحمد ديني هداية الله، القرآن الكريم والدعاء اللغوي (مالانق: جامعة مولانا مالك إبراهيم مالانق، الطبعة الأولى، 2010م)، 1-

البينة حاضرة مستمرة وباقية إلى قيام الساعة، إنها القرآن العظيم، (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ - الأنعام: 19) جعل الله البينة في القرآن منه شهادة على صدقه، وجعل الرسالة وجعل البينة شيئاً واحداً، وكانت الرسالة من قبل شيئاً، والمعجزة شيئاً آخر، فشاء الله جلّ وعلا أن يجمع لمحمد صلى الله عليه وسلم بين الرسالة والمعجزة في آن واحد، فالقرآن فيه الحلال والحرام، فيه البيان والهدى، وفيه المعجزة، والدليل على صدقه ويتلوه شاهد منه، هذا كتاب الله بين أيدينا، فكيف نعرف أنه من عند الله؟

جعل الله العلامات الكثيرة الدالة على أنه من عنده في فصاحته وبلاغته، وفي تركيب ألفاظه بينات تدل على أن هذا اللفظ جاء من عند الله، وفي علمه الذي احتوى عليه هذا اللفظ واحتوت عليه تلك التراكيب، والآيات ما يدل على أن المصدر من عند الله جلّ علا، قال تعالى: (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه - النساء: 166) أى أنزله وفيه علمه. فالقرآن العظيم يحمل العلم الإلهي فيه، ويدل على أنه من عند الله، وكل آية من كتاب الله تحمل علماً في باها وفي مجالها، إذا ارتقى علم الإنسان إلى ذلك المستوى الذي يفهم به معنى تلك الآية، علم عندئذ أن العلم الذي تشتمل عليه تلك الآية لا يمكن إلا أن يكون من عند الله سبحانه وتعالى.

فإن القرآن كنز لا يفنى، ولما كان الناس لا يستطيعون أن يحيطوا بعلم الله، (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - البقرة: 255) فكذلك القرآن الكريم لا يمكن أن يحصر علمه بكل تفاصيله ووقائعه في جيل من الأجيال، بل هو باب مفتوح، وبحر زاخر لا يشبع منه العلماء، ولا تنقضي عجائبه، ولا يبلى على كثرة السرد. وله في كل جيلٍ جديدٌ، وفي كل جديدٍ معجزةٌ. عرف ذلك العلماء وذكره المفسرون وحرروه وبينوه عند شرح الله جلّ علا (ولتعلّمنّ نبأه بعد حين - ص: 88) وعند قول الله سبحانه وتعالى: (لكل نبيٍّ مستقرٌّ وسوف تعلمون - الأنعام: 67) وعند قوله تعالى: (وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - النمل: 93) وعند قوله تعالى: (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - فصلت: 53).⁴

فهذه كلها تدل على أن القرآن باقٍ إلى يوم القيامة، وتدل على ختام الرسل، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، والقرآن دليل على ذلك، فلا يدخله تحريف أو تحويل من زيادة أو نقصان. بل إنه باقٍ منذ نزوله إلى يوم الدين، لأن الله قد تكفل ووعده بحفظه ورعايته.

⁴ عبد المجيد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق (القاهرة: مكتبة القرآن،

بعض شواهد الإعجاز اللغوي والعلمي لألفاظ القرآن الكريم

وإذا كان العرب أهل فصاحة وبلاغة فإن القرآن قد تحداهم أن يأتوا بسورة مثله، وكان عجزهم واضحاً، بل فاضحاً لكل من حاول تقليده. والقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان، ومن أجل هذا كان عطاؤه متجدداً على مر العصور.

ففي عصر العلم يرى العلماء آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ، حتى يتبين لهم أن القرآن الكريم هو الحق، وأنه ليس بقول ساحر أو كاهن وما هو بقول شاعر، بل هو قرآن كريم في لوح محفوظ.

إنه كنز لا يفنى وعطاء متجدد وبجر زاخر لا يشبع منه العلماء. وله في كل جيلٍ جديدٌ يكشف عنه. وفي كل جديد معجزة يراها العلماء فيخشون الله، ويؤمنون به ويشهدون أن محمداً عبد الله ورسوله.⁵

فألفاظ القرآن الكريم جامعة وشاملة لجميع المعاني التي تصلح وتتفق في كل زمان ومكان، مهما تغيرت وتطورت دلالات الألفاظ العربية في مرور الزمان. فالتغير الدلالي (*semantic change*) مصطلح من مصطلحات علم الدلالة الحديث، وهو عبارة عن تركيب وصفي يدل على حدث موصوف خال من الدلالة على الزمان، ويطلق هذا المصطلح على تغير معنى الكلمة على مر الزمن بفعل إعلاء أو انحطاط أو توسع أو انحسار أو مجاز أو نحو ذلك.⁶

وما يتعلق بأسباب التغير الدلالي تجتمع عدة أسباب على الكلمة، فتؤدي إلى تغيير دلالتها، هذه الأسباب تمثل في مجموعها إلى الأسباب اللغوية والتاريخية والثقافية والنفسية والاجتماعية. والمراد بالأسباب الاجتماعية، ما يتصل بالتركيب الاجتماعي للجماعة الناطقة، وما تتعرض له من تغيرات وتحولات كثيرة، وما تناله من ثقافات وتجارب جديدة، كل هذه المتغيرات تؤثر في دلالات كثير من الألفاظ وفي حياتها أو موتها.⁷

والتطور في اللغة أمر حتمي يشبه أن يكون وجهها من وجوه تطور الحياة نفسها. وهو في معناه البسيط التغيير الذي يطرأ على اللغة سواء في أصواتها أو دلالة مفرداتها، أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها، وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الأمم في كافة مجالاتها. وليس من شك أن التطور اللغوي مرتبط بسنن التطور العام في حياة الإنسان. واللغة ظاهرة اجتماعية تتأثر بكل ما يعترى الإنسان من أحوال عامة يشترك فيها جميع أفراد الأمة المعينة في فترات حياتها.⁸

⁵ عبد المجيد الزداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق، 5.

⁶ فريد عوض حيدر، الدكتور، علم الدلالة، دراسة نظرية تطبيقية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1999م)، 71.

⁷ فريد عوض حيدر، الدكتور، علم الدلالة، دراسة نظرية تطبيقية، 87.

⁸ عودة خليل أبو عودة، الدكتور، شواهد في الإعجاز القرآني، دراسة لغوية ودلالية (عمان: المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى،

فالقرآن الكريم معجز في ألفاظه وفي معانيه وفي سياقاته وفي كل الجوانب مما يتصل بجوانب الحياة الدنيوية والأخروية. فهناك بعض شواهد إعجاز القرآن في ألفاظه وفي معانيه وما يحتويه من علوم وحقائق لا تحصى. فالشواهد لإعجاز القرآن الكريم كثيرة متعددة، ولنذكر بعض الشواهد من الاكتشافات العلمية من بعض مجالات العلوم، فمنها ما يلي:

1- القرآن شفاء ورحمة

الدكتور أحمد القاضي له اكتشافات أخرى في مجال الإعجاز في لفظ القرآن في التراكيب اللفظية، قرأ قوله تعالى: (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين - الإسراء : 82) قال: سأختبر أثر القرآن في الذين عندهم "توتر عصبي" وقد رأيت في الأسئلة سؤالاً عن علاج التوتر العصبي - جاءنا سؤال يقول: ما هو العلاج الإسلامي لمن عنده ضيق نفس وتوتر عصبي؟ فأقول الجواب قدمه لنا الدكتور أحمد القاضي في أمريكا. جاءنا بمرضى بالتوتر العصبي من المسلمين ومن غير المسلمين. التوتر العصبي يصاحبه ظواهر في البدن، ظواهر تؤثر على سرعة التيار الكهربائي في العضلات، وتؤثر على درجة حرارة الجلد، وتؤثر على عدد نبضات القلب، فإذا كان الإنسان عنده توتر عصبي، وضيق في نفسه، ضيق "متضايق"، فإن ذلك ينعكس على بدنه بهذه الظواهر.

الدكتور أحمد القاضي جاء بجهاز يقيس "سرعة التيار الكهربائي" في الجلد والعضلات وقيس كذلك "درجة الحرارة" في الجلد، أجهزة الكترونية، استعملها لهذه الأغراض وقيس عدد نبضات القلب. إذاً الحالة النفسية أثرت على الحالة البدنية!.

إنه جاء بأجهزة تقيس حالة البدن، ثم جاء بكومبيوتر - حاسب آلي - وغذاه بهذه المعلومات، بحيث ينتهي في النهاية إلى شاشة، هذه الشاشة تبين وتعكس التوتر النفسي في الإنسان، فإن كان عنده توتر نفسي صعد الخط، صعد المؤشر. إذا بدأ ينخفض انخفض المؤشر، جاء بمجموعة من المسلمين عندهم توتر عصبي وضيق نفسي، وقلق واضطرابات، فأدخلهم غرفة فيها صمت كامل... سكوت! ثم رأى القراءة على الشاشة ما تغير شيء! التوتر كما هو، فأدخلهم غرفة أخرى فيها تلاوة القرآن، وشرح لهم بعض معاني آيات القرآن التي يسمعونها فلما استمعوا للقرآن الكريم بدأ المؤشر ينخفض، ويدل على أن التوتر العصبي بدأ يتناقص، وينزل عند قراءة القرآن.

ربما يقول قائل: إن السبب في ذلك هو لغة العرب، فيها جمال وفيها ألفاظ جميلة تؤثر على النفس الإنسانية، فجاء وأدخل هذه المجموعة غرفة أخرى ليقرأ عليهم أبياتاً شعرية باللغة العربية أبياتاً جميلة تُقرأ عليهم بلغة العرب، ورأى المؤشر، كان ينظر إلى المؤشر ووجد المؤشر لا ينزل كما كان في حالة القرآن، فقال: قد يقول قائل إن التجويد الذي في القرآن صَحَبَتْهُ موسيقى وإيقاع، وهذه الموسيقى والإيقاع أثرت على السامع، فقالوا: نأتي بلغة العرب، ونجود هذه المقطوعات الشعرية تجويداً

فجودوا تلك المقطوعات، جودوا تلك القطع النثرية فوجدوا المؤشر لا يعطي نفس الدلالة التي يشير إليها القرآن الكريم، والتي تحدث بسبب القرآن! قد يقال هؤلاء مسلمون، وهؤلاء عرب، ويتأثرون بالمعاني القرآنية، ويستفيدون منها. قال: لماذا لم يتأثروا بالكلام العربي الآخر؟ هذا علاج يثبت القضية. لكن ماذا لو جرّبنا المسألة على كفار لا ينطقون بلغة العرب، ولا يعرفون لغة العرب، فجاء بهم وأدخلهم غرفة السكون، فالتوتر كما هو، ثم نقلهم إلى غرفة القرآن الكريم فإذا بالمؤشر ينزل، إلا أن النسبة اختلفت، فالمجموعة الأولى التي كانت تعي القرآن انخفض التوتر العصبي عندها بنسبة 97%، أما المجموعة الثانية من غير المسلمين فقد انخفض التوتر العصبي عندها بنسبة 60%، وهذه درجة عالية أن ينخفض التوتر على ذلك. معنى ذلك أن الكفار إذا أرادوا أن ينفعهم القرآن وأن يستفيدوا بالقرآن، فإن عليهم أن يتفهموا معاني القرآن وأن يتدبروا معانيه لكي يحدث فيهم الأثر.⁹

2- دراسة لكمية الغذاء من البروتينات

أما الدكتور "المعارجي" في جامعة قطر فيقول: لقد درست كميات الغذاء من "البروتينات" والتي تدخل في غذاء الأبقار، درسنا كمّ البروتينات. البروتينات: مواد غذائية تستعمل في بناء العضلات. فقال الدكتور "المعارجي": درس علماء الحيوان كمّ البروتينات التي تأكلها البقرة مثلاً في غذائها فحسبها ووزنها، ثم جاءوا ليزنوا المواد البروتينية التي تخرج من اللبن، لبن البقرة، فوجدوا أن وزن المواد البروتينية الناتجة من اللبن أكثر من وزن المواد البروتينية الداخلة في الغذاء، فمن أين جاءت المواد البروتينية؟ كان الجواب أنه يوجد في المعدة، معدة الأنعام: الكرش، توجد كائنات حية صغيرة تسمى "البكتيريا" هذه تأخذ المواد من الأكل الذي ليس فيه "بروتينات" يسمونه السليلوز، المواد السليلوزية والمواد النشوية تأخذ هذه المواد وتصنعها فتحوّلها إلى مواد بروتينية مفيدة لجسم الإنسان وهذا كله يندرج تحت قوله تعالى: (وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين - النحل: 66).

وقد جاء بحث آخر لطبيب آخر، يدرس القيمة الغذائية للبن ويقارن بين القيمة الغذائية للبن وسائر الأطعمة التي يأكلها الناس. فشهد بعض الناس يعتمدون على أن يكون الطعام الرئيسي عندهم التمر، كما هو حال البدو بجوار اللبن، وبعضهم يكون الطعام الرئيسي الأرز، وبعضهم يكون الطعام الرئيسي القمح، وبعضهم يكون الطعام الرئيسي كذا، أشياء من المواد يعتمد عليها الإنسان في جسمه ويأكلها بكثرة فينبني هذا الجسم الذي نراه.

⁹ عبد المجيد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق، 10-12.

وعندما درس الإنسان أي الأغذية أعلى، وأرفع قيمة غذائية ما هو أحسن غذاء توجد فيه جميع المواد اللازمة لجسم الإنسان؟ بعد أن تقدمت وسائل الاكتشافات والتحليل لمعرفة المواد الغذائية وتصنيفها قام طبيب بهذه الدراسة، فكانت النتيجة أن اللبن هو أغنى غذاء وأحسن غذاء وأكمل غذاء يحتاجه جسم الإنسان، أكمل غذاء للأطفال وللشباب وللرجال وللشيوخ، فيه جميع المواد الغذائية، ولا يوجد غذاء يجزى عن اللبن، يجزى عن الطعام الشراب سوى اللبن. قال هذا الطبيب - جزاه الله خيرا - الدكتور علي أحمد الشحات قال: هيا لنقرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم يكشف لنا هذا السر ويبينه لنا قبل أن يعرفه الناس، قال عليه الصلاة والسلام: (من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيرا منه) أي جميع الأطعمة هناك ما هو خير منها - بقية الحديث (ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه). فهناك (ارزقنا خيرا منه)، وهنا (بارك لنا فيه وزدنا منه) ليس هناك شيء أحسن منه، ثم يكشف الرسول صلى الله عليه وسلم السر فيقول: (فإني لا أعلم ما يجزى من الطعام والشراب إلا اللبن - أخرجه أحمد في مسنده، وابن سعد في طبقاته، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، جمع الجوامع، الجزء الثالث)، (فإني لا أعلم ما يجزى) أي: ما يعني عن طعامي وشرابي إلا اللبن.¹⁰

3- التحليل اللغوي والعلمي للدكتور هليلي برانت

وتوقف الدكتور هليلي برانت عند لفظ واحد في هذه الآية وقدم بحثا عنه حوله وحول غيره. هذا اللفظ قوله تعالى: (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا)، فتثير سحابا، ما معنى لفظ: "تثير"؟ قال: لفظ تثير، إذا رجعنا إليه في لغة العرب هكذا أبحاث الإعجاز العلمي بل هكذا أبحاث التفسير، لا بد لكي تفهم معنى اللفظ أن ترجع إلى معناه المستعمل وقت نزول القرآن على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فما معنى لفظ تثير؟ إذا رجعت إلى قواميس اللغة العربية تجد "تثير" تأتي بمعنيين: بمعنى أظهر، والإظهار أن تظهر شيئا لم يكن ظاهرا، وهذا مستعمل للآن عندنا في لغتنا نقول: أثار مشكلة، فمل معنى أثار مشكلة؟ يعني أظهر مشكلة لم تكن موجودة فأظهرها، "ويعمل لنا مشكلة" و"أثار مشكلة" بمعنى أظهر. المعنى الثاني في لفظ أثار أنها التهيج، من هيج الشيء، فيقال: لا تثرني أى لا تهيجني. إذاً لفظ أثار يأتي بمعنيين: أى الإظهار والإثارة.

هل هناك علاقة للرياح بالسحاب؟ هيا بنا نرى ما وصل إليه علماء الأرصاد في علاقة الرياح بالسحاب. هذا موضوع دراسة لو رأيتم الخيالات عند الأمم السابقة. كيف كانوا يتصورون العلاقة بين الرياح والسحاب؟ كيف يتصورون الطقس؟ وعندني صور وشرائح تبين أن بعض الأمم...اليونان مثلا

¹⁰ عبد المجيد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الأفق، 13-15.

كانوا يعتقدون أن الرياح هذه هناك آلهة معها بوق تنفخ فيه، فإذا نفخت طلعت الرياح، وإذا غضبت أنزلت عليهم مطرا يغرقهم.

والذين كانوا يسكنون في الرافدين - أهل حضارة الرافدين كانوا يتصورون أن هناك ملكا... أن ملكهم ملك الزمان ينهض بقربان، ويقدمه إلى ملك الطقس، فإذا تقبل ملك الطقس هذا أتى لهم بجو طيب وأتى لهم بمطر وإذا لم يقبل أتى لهم بالجفاف.

أما الصينيون فكانوا يتصورون أن هناك آلهة، آلهة معها طبول... تقرع الطبول يظهر الرعد، ومعها مرايا تعكس بالمرآيا فيكون البرق، فتكون النتيجة هي البرق. فالخيالات الأسطورية في أذهان الناس وقت نزول الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبقيت هذه الخيالات مسيطرة على عقول الناس حتى القرن الثامن عشر عندما بدأ الإنسان يستعمل القياسات والدراسات والتحقيق والبحث.

أنت ترى في بعض الأحيان رياحا بدون سحاب، وترى سحابا بدون رياح، وترى رياحا تحرك السحاب وتراها تبدد السحاب وتفرقه. فما علاقة الساب بالرياح؟ هذا الموضوع من أهم المواضيع التي يدرسها علماء الأرصاد فوجدوا م يلي:

وجدوا أن السحاب يكون بخارا من الماء لا يرى... ينشأ من البحر، فتأتي الرياح فتحمله وتكتفه في طبقات الجو الباردة فتسبب إظهاره. إذاً الرياح أظهرت السحاب الذي كان موجودا على هيئة بخار ماء، مادته كانت موجودة، لكن لم تكن مرئية، فالرياح أظهرته - الواحد - الثاني : عندما يتحول كخار الماء، يتحول الماء في القدر بسبب أنك تسخنه بالحرارة يتحول من سائل إلى بخار. ويتحول إلى بخار لأنه يأخذ حرارة معه، هذه الحرارة والطاقة بما يرتفع، فإذا وصل البخار إلى مكان بارد، تحول من بخار إلى سائل، يعنى تحول العكس، ولكن الحرارة التي أخذها أين تذهب؟ الحرارة التي أخذها تنطلق، تنطلق هذا الانطلاق يهيج السحاب، ويرفعه، ويركمه، ويمده، ويجعل فيه الطاقة. إذاً الرياح تهيج السحاب، الرياح تظهر السحاب، فهل هناك لفظ يجمع بين المعنيين؟ إنه "أثار" وهكذا جاء في القرآن: (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا - الروم: 48).¹¹

4- مع أحد علماء النبات

أحد علماء النبات تقدم بوصف جميل جاء في كتاب الله الكريم في وصف الصحابة - رضوان الله عليهم - فوصف الصحابة بالنبات... بالزرع، فهذا رئيس قسم النبات بإحدى الجامعات في مصر يقول: قال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبيغون

¹¹عبد الحميد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق، 18-20.

فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار - الفتح: 29). يقول: مثلهم في الإنجيل أنهم كزرع، وعلماء التفسير تتبعوا ما في الأناجيل فبينوا أن في الأناجيل خبرا بأن أمة ستأتي ستنبئ كالزرع ع نبي وتأتي بعدهم تنبت كالزرع. المهم تعالوا إلى التشبيه الذي شبه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم والصحابة فقال: (ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه)، الشطء: هو الفرخ مثل الدجاج تخرج فراخا، هذا أيضا يخرج فراخا، فراخ زرع يسميه علماء النبات فراخا، وعلماء التفسير يسمونه فرخا. لماذا؟ لأن هذا الفراخ يتحول إلى زرع مستقل. فقال هذا الدكتور، هذا يحدثنا عن النباتات النجيلية من العائلة النجيلية. نباتات العائلة النجيلية هي البر والأرز وقصب السكر والشعير وما شابههما. قال هذا الزرع كزرع أخرج شطأه، هذا هو الزرع الذي يخرج الأشرطة، الفراخ هذه، قال إذا نبتت الحبة وظهر الزرع. عندما ينمو الزرع يبدأ يخرج الفرخ من إبط الأوراق فيخرج الفرخ من الزرع، لا من الحبة لذلك قال تعالى: (كزرع أخرج شطأه)، ثم قال في السنوات الأخيرة بعد الثلاثينات، درس العلماء من أين يأتي الغذاء لهذا الشطء عندما يخرج، من أين؟ فوجدوا أنه يأتيه ويصنع له من الزرع نفسه، فالزرع يؤازره ويمده بالغذاء (كزرع أخرج شطأه آزره) فلما آزره، تأتي عملية أخرى فتكون عُقْدًا، عقدا تحت آباط الأشجار، الزروع، يكون عقدا متقاربة فاستغلظ بهذه العقدة، فاستوى، المسافة بين العقدة والعقدة تستطيل حتى مسافة عالية، فاستوى على سوقه يُعجب الزراع ليغيظ به الكفار - قال: وهذه هي النباتات - النجيلية، يبدأ النبات يخرج من الزرع ويؤازره الزرع ويستغلظ ويستوي على سوقه، ويثمر، ويعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. بهذه المناسبة لهذه الآية قال الإمام مالك رضي الله عنه: من أصابه الغيظ من الصحابة، من أصبح وفي قلبه غيظ على الصحابة فقد أصابته هذه الآية، لأن هذه الآية ماذا تقول؟ ليغيظ بهم الكفار، فالذين يغتاظون من الصحابة وقعوا في هذا الوصف، وصف الكفار. فيحذر الإمام مالك أولئك الذين يغتاظون، ويغيظهم الصحابة - رضوان الله عليهم - فقال من أصبح في قلبه غيظ على الصحابة فقد أصابته هذه الآية.¹²

5- علماء الأرض وسبب الجاذبية

الأرض لها جاذبية فما الذي يجذب هذا إذا نزل تحت، قالوا: الجاذبية هي السبب؟ درس علماء الأرض سبب الجاذبية فوجدوا أن باطن الأرض ثقيل، وكلما يكون ثقيلًا يكون جذبته قويا، كلما

¹² عبد المجيد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق، 31-33.

نزلنا تحت زادت الأرض ثقلاً حتى نصل إلى قرب قلب الأرض، فوجدوا سائلاً ثقيلاً يدور حول قلب الأرض، دورانه هذا ينشأ عنه خطوط الجاذبية، المغناطيسية التي تجذب الأشياء.

يقول الدكتور ستيفلز الأمريكي الذي حضر المؤتمر مع الاشتراك مع عدد من المسلمين لتفسير قوله تعالى: (إذا زلزلت الأرض زلزالها * وأخرجت الأرض أثقالها - الزلزلة: 1-2)، أثقال الأرض في باطنها وستخرج هذه الأثقال إذا خرجت ما يحدث؟ قال: تقول آية أخرى: (وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت - الانشقاق: 3-4)، خرجت الأثقال بَرَّأها وألقت ما فيها. أي شيء بعدها؟ ماذا يحدث؟ أي شيء أُلقت ما فيها، وتخلت؟ تخلت يعني أي شيء؟ أنا أمسك الآن الكرسي وهناك من يحاول جذبني وأنا أمنع ذلك وفي النهاية أتخلى عنه. الأرض تمسك بالأشياء عليها فإذا خرجت الأثقال التي في باطنها إلى أعلى ستتخلى، تتخلى عن أي شيء؟ تتخلى عن أشياء كانت ماسكة لها ماسكة بها، (وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت).¹³

6- إخبار القرآن الكريم عن حقائق الكون

هذه نتائج دراسات معمّقة وطويلة واستمرت عدة قرون، أدرك بنتيجتها العلماء أن الكون لا بد أن ينهار في نهاية حياته. فمنذ أن كشف العلماء أن للكون بداية وأن الكون ذات يوم لم يكن شيئاً يُذكر، أدركوا أن للكون نهاية، وهذه الاكتشافات شكلت صفة قوية للملحدون الذين ينكرون وجود الخالق تبارك وتعالى، ويدّعون أن الكون وُجد بالصدفة وسيستمر إلى الأبد.

هذه الأساطير كانت موجودة زمن نزول القرآن، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم صحح المعتقدات، وأخبر بأن الله هو الذي خلق الكون وأن الكون بدأ من نقطة صغيرة ثم توسّع ولا يزال يتّسع وسينتهي ذات يوم وينهار ويعود كما بدأ، والآيات القرآنية التالية تؤكد ذلك وبما يتفق مع العلم الحديث:

آية تتحدث عن نشوء الكون من كتلة واحدة، يقول تعالى: (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ - الأنبياء: 30)

وآية تتحدث عن اتساع الكون باستمراره، يقول تعالى: (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا مُوسِعُونَ - الذاريات: 47)، وآية تتحدث عن نهاية الكون، يقول تعالى: (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ - الأنبياء: 104)

¹³ عبد الحميد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق، 39.

وآيات كثيرة تتحدث عن تشقق السماء وتناثر الكواكب يوم القيامة، بما يتفق مع العلم الحديث، يقول تعالى: (إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَثَرَتْ - الانفطار: 1-2)، وتكوير الشمس وانطفاء النجوم: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ - التكوير: 1-2) وهكذا فإن هذه الآيات دليل على أن الله هو قائلها، لأن الله تعالى هو الذي خلق الكون وهو أعلم بمستقبله، ولذلك فقد وضع هذه الآيات في كتابه لتكون شاهداً على صدق هذا الكتاب العظيم، وصدق رسالة الإسلام (عبد الدائم الكحيل، 2013: 10-12).¹⁴

الخاتمة

القرآن الكريم هو معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الباقية إلى قيام الساعة، وقد وعد الله بحفظه ورعايته، فلا يدخله تحريف أو تحويل أو تغيير أو تبديل. والقرآن هو الدلالة العظمى لصدق رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، فلن يستطيع أحد أن يأتي بمثله ولو آية واحدة، وهو دليل الحياة الدنيوية والأخروية لأمته صلى الله عليه وسلم.

والقرآن معجز في كل شيء، معجز في ألفاظه وآياته وجميع سوره وما تحتويها من نظم وأخبار وشرائع وحقائق وعلوم وغير ذلك. وله شواهد في إعجازه في كل زمان من الأزمان، وفي كل جيل من الأجيال، وفي كل علم من العلوم، وفي كل سر من الأسرار، وفي كل اختراع من الاختراعات، وفي كل اكتشاف من الاكتشافات. وهو صالح ودليل في كل زمان ومكان، وكانت صلاحيته ومنافعه للمسلمين خاصة وللناس عامة.

قائمة المصادر والمراجع

أحمد ديني هداية الله، القرآن الكريم والذكاء اللغوي، مالانق: جامعة مولانا مالك إبراهيم مالانق، الطبعة الأولى، 2010م.

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1996م.

عبد الدائم الكحيل، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الجزء 21، 2013م.

¹⁴ عبد الدائم الكحيل، موسوعة الكحيل للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، الجزء 21، 2013م، 10-12.

عبد القادر محمد صالح، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، حلب: دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1424هـ / 2003م.

عبد المجيد الزنداني، الشيخ، رسائل العلم والإيمان ودلائل الإعجاز في السنة والقرآن، آيات الله في الآفاق، القاهرة: مكتبة القرآن، دون سنة.

عُودة خليل أبو عُودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، الأردن: مكتبة المنار، الطبعة الأولى، 1405هـ / 1985م.

عودة خليل أبو عودة، الدكتور، شواهد في الإعجاز القرآني، دراسة لغوية ودلالية، عمان: المكتبة الوطنية، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1998م.

فريد عوض حيدر، الدكتور، علم الدلالة، دراسة نظرية تطبيقية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1999م.

محمود إسماعيل صيني، ومختار الطاهر حسين، وسيد عوض الكريم الدّوش، الدكتور، المعجم السياقي للتعبيرات الاصطلاحية، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، 1996م.

